صوت الضّاد

الشاعر: عبد العليم بوفاتح
 كلية الآداب - جامعة عمارثليجي - الاغواط (الجزائر)
 abdelalimboufatah@yahoo.fr

صوت الضّاد

الإهداء: إلى كل من أحب العربية وأنصفها .

عربية ذات الجمال البادي	
ما مثلها في الحُسن من أُنْدَاد؟	
هي العروس أميرة في خدرها	
لم تكثرث لمزاعم الحُساد	
كالشمس إنْ هي أشرفتْ وتألقتْ	
تغدو النجوم ضياؤها كرماد	
الكون بعض جماله وصفائه	
وبهائه من حسنها الوقّاد	
الحسن فيها آية علوية	
قدسيّة من ساعة الميلاد	
بذتْ به أقرانها وتبوّأتْ	
عرش الجمال ورتبة الأسياد	
كم ضرّة رامتْ منافسةً لها	
مغرورة في عزّة وعناد	
فإذا الجَمال يُمجّ كلّ تطفلّ	
فيخيب كلّ تصنّع مُنقاد	

لا تحسبوني هائما يبدي الصّبا	
بة شاكيا من لوعة وسهاد	
أوتحسبوني حالما متغزّلا	
يلهبووصف غزاله المياد	

هذي التي هُمْتُ بها عربيتي	أحببتُها واستأثرتُ بفؤادي
أسكننُها مثل الشَّهيق بأضلعي	فإذا زفرتُ فهي في تنهادي
ولقد رضعْتُ بيانها وثلثُته	فنفتثُته سحرًا لدى إنشادي
أرسلته من وحيها متدققًا	مترنمًا مثل الهزار الشَّادي
وصنعتُ منه قلاندا مسبوكة	أخاذاة في أنصع الأجياد

بنت العروبة كم لها من عاشقٍ	كم تيمت من مُهجةٍ وفؤاد
لكنمّا أبناؤها في غفلة	لم يدركوا سرّ الجمال البادي
شغلوا بحسن زائفٍ متصنعٍ	وسعوا إلى تمجيدِه بنواد
وتجاهلوا أمجادهم وتحولوا	عن أصلهم واستسلموا لقياد

بنت العراقة والأصالة قد غدتُ	تشكو إلى أبنائها وتنادي
قالتُ وقد عانتُ جفًا وقطيعةً	والحزنُ فيها حارق الأكياد
يا عصبتي! لا تخجلوا من نصرتي	أوتفشلوا، يا خيرة الأولاد
إنّي حويتُ بدائعًا وروائعًا	

وسموتُ عن كلِّ اللِّغات بزادي ¹	ولقد حُبِّيتُ من الكِتَابِ بِأَيِّهِ
وبلاغةٍ جَلَّتْ عن الأَضداد	إِنِّي شَرُفْتُ بما اصْطُفِيتُ فلم أدع
شرفاً لغيري من ثمود وعاد ²	يا أُمَّتِي! سِروا على نهج الأُلَى
من قبلكم كانوا حُماة الضَّاد	فبِعِزَّتِي عِزُّكُمْ ، وبِعِزِّكُمْ
عِزَّ البلادِ وعِزَّةَ الأحفاد	ولَكُمْ عَجِبْتُ لِمَا أرى مِنْ تَرَكَ قُو
مِ عِزِّهِم وذوائبِ الأمجاد	ومتى وهنتُ فذاك من خذلانكم
وإذا انتصرتُ فأنتمُ أجنادي	لهُفي على قومي الذين عدمتهم
إِنِّي أحنُّ لنخوة الأجداد	لهُفي على أهل الإباء لقد قضوا
فقضى الزَّمان بقلة الأجداد ³	أسْفِي على أبناء يعرَب ما أقد
لوجودهم مع كثرة الأعداد	

عجبُّ إذا أمُّ تبنَّت نسلها	والابنُ يُنكر أمَّهُ ويعادي ⁴
عجبُّ إذا يغدو الشحيح مباحياً	بالجود بين أفاضل أجواد ⁵
عجبُّ إذا ما الجدبُ آل خصوبةً	والخصبُ أجذبُ أثلاً لنفاد ⁶

عربيّتي! لن تُعْدمي عزّاً وببـ

من جنوبنا عزمٌ على الإمداد	منا الفدا أبدا نردّ من اعتدى
عن حوضنا من ثلّة أنكاد	منا يواقيت توهجُ بالسّنا
مصقولة كالصّارم الدّواد	قل للعداة خستتم لن تبلغوا
في كيدكم ونوازع الأحقاد	إلّا كما بلغ القصير مطاولا
من حُمقه لعمائم الأطواد ⁷	إنّا سنبقي للمنابر صولةً
ونشيدُ مجدا طارفا للضاد ⁸	

هوامش :

- ¹ - الزاد: أسرار العربية وما تنفرد به بين اللغات عمقاً وثراءً .
- ² - الحرف "من" هنا بمعنى: منذ، ويوحى بأصالة العربية وعراقتها.
- ³ - قضوا: انتهوا وانقضى زمانهم / قضى: حكم .
- ⁴ - المراد بالأمّ الأولى: بعض اللغات الأخرى التي كانت عالية على غيرها واستمدت وجودها من مخلّفات لغات أخرى ، ومع ذلك استطاعت الهوض؛ والأمّ الثانية: يراد بها العربية التي ظلت سيّدة في عصور سابقة، واليوم تخلّى عنها أبناؤها وتنكروا لها ورموها بعدم مواكبة العصر ؛ بل منهم من عادها (وفي هذا البيت رمز ، كما في البيتين اللذين بعده) وهناك رموز أخرى في القصيدة .
- ⁵ - الشحيح: رمز للهجات واللغات التي تزعم مضاهاة العربية.
- ⁶ - الجذب: رمز للغات الأخرى / الخصوبة: رمز للعربية، كناية عن ثرائها وغناها ومرونتها.
- ⁷ - الأطواد: الجبال الشامخة والصورح العظيمة الراسخة، وكل ما يرمز للثبات والرسوخ والشموخ.
- ⁸ - طارفا: متجددا يواكب العصر لإثبات شباب العربية ونضارتها وحيويتها الدائمة، في الوقت الذي تكتهل فيه لغات وتتعتّر أخرى ، وأخرى تندثر.